الرهان والارتهان

ما زال المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط يستمد حرارته من القمة الاميركية ـ السوفياتية التي عقدت في موسكو، نهاية شهر أيار (مايو) الماضي. فالقمة، بحد ذاتها، صيغة احتفالية، يسبقها، في العادة، فتح أو غلق الملفات الاقليمية المختلفة. وهذا ما يدعونا الى تأكيد ان النزاع العربي ـ الاسرائيلي قد تم بحثه، بصورة مسبقة، كجزء من الاعداد للقمة؛ وليس هذا من قبيل التنبوء الصحافي، بل استنطاقاً لحقائق ومعطيات الحركة الدبلوماسية المكثفة لكلا القطبين، وبدرجات متفاوتة، باتجاه المنطقة.

واذا ما استعدنا في الذاكرة، وفي ضوء ما تحتله الحركة الدبلوماسية هذه من اهمية، ان القمة الثالثة بين العملاقين التي عقدت في واشنطن، قد ابتعدت من قضية الشرق الاوسط الى درجة تجاهلها، تماماً، في البيان الختامي، فان الفترة اللاحقة لها شهدت تدخلاً مباشراً وعلى مستوى وزير الخارجية الاميركية، جورج شولتس، لتنشيط «عملية السلام»؛ وذلك في جولاته المكوكية والتي تدخل في تركيبتها، ضمناً، رحلات كل من فيليب حبيب وريتشارد مورفي وابريل غلاسبي، وأخيراً رجل المهمات الخاصة سفير واشنطن لدى الامم المتحدة فيرنون وولترز، الذي تنقل في العواصم الخليجية والشرق أوسطية «للبحث في القضايا المطروحة».

في المقابل، وهذا ما يسترعي الانتباه حقاً، لم يبادر الاتحاد السوفياتي، من جهته، الى رفع مستوى مبعوثيه الى الدول العربية المعنية، وتم الاعلان عن زيارة متوقعة لوزير الخارجية، ادوارد شيفاردنادزه، لكنها لم تتم؛ كما ذهبت التوقعات التي أشارت الى مبادرة سوفياتية، قبل قمة موسكو، ادراج الرياح.

المساومة بين موسكو وواشنطن

ان مقارنة خاطفة، على اساس مستوى التمثيل الدبلوماسي المختص بالبحث في القضية، تؤكد ان الادارة الاميركية رفضت، حتى اللحظة على الاقل، تقديم أي تنازل في الشرق الاوسط، يمنح السوفيات دوراً أكبر وأكثر فاعلية؛ وهذا «الاحتكار الدبلوماسي» ـ ان صح التعبير ـ له، بالنسبة الى واشنطن، ما يبرره. ان الموقف الاميركي من الاتحاد السوفياتي لا يزال، كما عبّر عنه الرئيس رونالد ريغان قبل مدة في احدى المناسبات: الثقة في موسكو، ولكن مع ضرورة التحقيق والتدقيق (**نيويورك تايمز**، ٦/٥/١٩٨٨). وهذا الموقف، يعني، بالضرورة، عدم التسليم، كلية، بنوايا الكرملين السليمة، ويعني، في الوقت عينه، وجود مصالح للاتحاد السوفياتي في المنطقة تملي عليه مواقفه وتحركاته، خصوصاً وان ما يبعده من الولايات المتحدة لا يزال كبيراً، على الرغم من المسافة الطويلة التي قطعها الجانبان، على أكثر من صعيد، وفي أكثر من قضية.

صحيح ان الجانبين تناولا، في فترات متباعدة، حرب الخليج وانعكاساتها على كل منهما؛ وصحيح، أيضاً، انهما استكملا البحث حول اتفاقيهما المتعلقين بخفض الاسلحة النووية وبانسحاب الجيش السوفياتي من افغانستان؛ وصحيح، أخيراً، انهما تعرضا، في مناسبات عدة، الى قضايا متنوعة دولية واقليمية؛ لكن، يرجح بعض المراقبين، ان البحث كان يتركز، بصفة خاصة، في العلاقات الثنائية على قضية خفض التسلح، وفي القضايا الاقليمية على ازمة الشرق الاوسط وجوهرها القضية الفلسطينية (**انترناشيونال هيرالدتربيون**، ١٣/٥/١٩٨٨). وفي هذا المجال، ذهب هؤلاء المراقبون الى القول، ان الرئيس ريغان يريد ان يختم ولايته الثانية، وربما عمله السياسي، بانجاز ضخم على مستوى المنطقة، هو عقد مؤتمر دولي يتولى حل ازمتها المستعصية منذ عشرات السنين، وان استغرق ذلك وقتاً طويلاً. فالمهم عنده ان